

ماخذ الحقائق العلمية التي لا تقبل المناقشة ، ولكنه يواجه تلك الآراء بنقيضها عند غيرهم من علماء الغرب أيضا . وهكذا تسلمه المقدمة الى الغرض ، ويسلمه الغرض بعد البحث الى النتيجة .

ويبدأ البكرى المفكر حديثه في الفصل الأول من دراسته بمقدمة يعرض فيها لرأس مال الأمم ، فيراه يتوقف على أمرين طبيعيين ، هما كثرة السكان وخصب المكان . ويسدو هذا أمرا بديهيا ، التفت اليه ابن خلدون في مقدمته والتفت اليه من الباحثين الأوربيين الكثيرون أمثال (مونتورو) و (تين) عندما تحدثا عن مستقبل الصين وروسيا . وترتبط بهذه المقدمة فكرة أخرى هامة كثر الحديث عنها اليوم وتعلق بالوازنة بين الانتاج والاستهلاك ، لأن زيادة النسل وكثرة التعداد مع قلة الموارد توقع الأمم في الضيق والشدائد أو في الأوبئة والحروب . ومع أن هذه حقيقة أولية فتند تقيب عن أفهام وعقول بعض المسئولين مثلما غابت عن وزير معارف فرنسا في خطابه الذي ألقاه على مجمع المعارف عام ١٨٦٨ عندما قال : « أن من يمكنه أن يزيد سكان فرنسا مليونا من النفوس يفيدها أكثر ممن يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف » (١) .

ويرى البكرى أن هذا القول يخلو من الصواب ، لأن من يزيد مساحة بلد يزيد في موارده ، فيجعل الزيادة في السكان محتمة . ثم يستشهد برأى « ليبيج » في هذا الموضوع عندما قال : « اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوروبا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد ، فلا يمضى غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما ينفي بحاجتهم

(١) المستقبل للإسلام ص ٨ .